

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[82] هدف مقدس إلهي، والشهادة أحبّ شيء للإنسان المؤمن، وبداية لسعادته الأبدية. الإيمان بيوم القيامة يصون الإنسان من ارتكاب الذنوب. بعبارة أخرى: يتناسب ارتكابنا للذنوب مع إيماننا باليوم الآخر تناسباً عكسياً، فكلما قوي الإيمان قلت الذنوب، يقول ابن سبكانه لنبيه داود: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ السَّيِّئِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (1). نسيان يوم الحساب أساس كل طغيان وظلم وذنوب، وبالتالي أساس استحقاق العذاب الشديد. آخر آية في هذا البحث تشير إلى النتيجة التي يتلقاها المؤمنون المتصفون بالصفات الخمس المذكورة، تقول: (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وقد ضمن رب العالمين لهؤلاء هدايتهم وفلاحهم، وعبارة (مِن رَّبِّهِمْ) إشارة إلى هذه الحقيقة. واستعمال حرف (على) في عبارة (على هدى) من (مِن رَّبِّهِمْ) يوحي بأن الهداية الإلهية مثل سفينة يركبها هؤلاء المتقون لتوصلهم إلى السعادة والفلاح، (لأن حرف (على) يوحي غالباً معنى الإستعلاء. واستعمال كلمة "هدى" في حالة نكرة يشير إلى عظمة الهداية التي شملهم بها. وتعبير (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يفيد الإنحصار كما يذكر علماء البلاغة، أي إنَّ الطريق الوحيد للفلاح هو طريق هؤلاء المفلحين(2)!

1 - ص، 26، 2 - صاحب "المنار" يصر على أن تكرار كلمة "أولئك" في الآية يفيد الإشارة إلى مجموعتين: الأولى - أولئك الذين يتصفون بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، وبالإنفاق، والثانية - هم المؤمنون بالوحي السماوي وبالآخرة. نحن نستبعد كثيراً هذا التفسير، لأن الصفات الخمس المذكورة مترابطة لا يمكن التفكيك بينها، وكلها تصف مجموعة واحدة.